 الدرسُ الثَّالِث منْ (شرحِ كتابِ ستَّةِ مواضعَ منَ السِّيرَة)

للشَّيْخ: محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمهُ الله تعالى.

الشَّيْخ: خالد بن محمَّد بن عثمان حفظه الله.

الطالب :بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحِيم

الحمدُ لله و الصَّلاة و السَّلام على رسولِ الله و عَلَى آله وصحبِه و منْ والاه أمَّا بعد:

فهذَا هُوَ شرحُ متنِ ستَّةِ مواضعَ منَ السِّيرَة لشيخِ الإِسْلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمهُ الله تعالَى،

شرحُ فضيلةِ الشَّيْخ أبِي عبد الأعلَى خالد بن عثمان حفظهُ الله تعالَى و هذَا هوَ اليومُ الثَّامِن لشهرِ شوَّال سنةَ سبعٍ و ثلاثينَ وَ أَربعِمئَةٍ بعدَ الألف .

قال رحمهُ الله : المَوْضِعُ الثَّالث : قِصَّة، قِصَّة قراءتِهِ سورةَ النَّجْم بحضرَتِهمْ فلمَّا بلغَ (أَفَرَءَيْتُمُ اللاَّتَ وَ العُزَّى) ألقَى الشَّيْطَانُ فِي تلاوتِهِ " تلكَ الغَرَانيقُ العلَا و إنَّ شَفَاعَتُهُنَّ لَتُرْتَجَى"

الشَّيْخ: وَ إنَّ شَفَاعَتَهُنَّ.

الطَّالب: وَ إنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى فظنُّوا أنَّ رسولَ الله قَالهَا ففرِحُوا بذلكَ وَ قَالُوا كلاماً معناهُ هذَا الَّذِي نريدُ و نحنُ نعرفُ أنَّ الله هو النَّافعُ الضَّار وحدهُ لَا شريكَ له و لكنَّ هَؤُلاء يشفعونَ لنَا عنده فلمَّا بلغَ السَّجْدَة سَجَدَ وَ سجَدُوا معهُ فشاعَ الخبرُ أنَّهم صَافَوْهُ وَ سمعَ بذلكَ منْ فِي الحَبشَة فرجَعُوا فلمَّا أنْكَرَ ذلكَ رَسُولَ الله

الشَّيْخ:رسولُ الله.

الطَّالب:فلمَّا أنْكَرَ ذلكَ رسولُ الله عادُوا إلَى شَر ممَّا كَانُوا عليه ،ولمَّا قَالُوا لهُ إِنَّكَ قلتَ ذلك خافَ منَ الله خوفاً عظيماً ، حتَّى أنزلَ الله عليه : (وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاَ نَبِيٍّ إلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ) ،الآيات،

فمنْ فهمَ هذِه القِصَّة ثُمَّ شَكَّ بعدهَا فِي دينِ النبي ، و لم يفرِّق بينهُ و بينَ دينِ المشركين فأبعدهُ الله خصوصاً إنْ عرفَ أنَّ قوله : تِلْكَ الغَرَانيقُ، يرادُ بهَا الملائِكة.

الشَّيْخ:نعم، بسم الله و الحمدُ لله و الصَّلاةُ و السَّلامُ علَى رسولِ الله و علَى آله و أصحابِهِ و من إِتَّبعَ هُداه أمَّا بعد:

فهذهِ القِصَّة التِّي أشارَ إليهَا المصنِّفُ رحمهُ الله تعالَى فِي هذَا الموضِع الثَّالِث منْ مواضعِ السِّيرَة هيَ المشهُورَة بقصَّة الغرَانِيق .

وهذهِ القِصَّة قدْ جاءتْ من طُرُق، إِمَّا أن تكونَ مُرْسَلة وَ إمَّا أنْ تكونَ ضعيفةَ الإِسْنَاد، فلمْ تأتِ من طريقٍ صحيحٍ متَّصل و لكن إختلفَ العلماءُ في ، يعني، الإحتجَاجِ بهَا فهناكَ- و هذا هو الَّذِي عليهِ أغلبُ العُلَمَاء -من ضَعَّفَ هذه القِصَّة و لم يعتبر بطُرُقهَا و حكم عليها بالنَّكَارة،

و هذَا هوَ الَّذِي عليهِ أغلبُ العُلَماء نحو: القاضِي عِيَاض في كتابه، في كتابه: " الشِّفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى" و غيرهم، و هو ما يأتي بيانُ ذلك ،و هناكَ منْ قَوَّى القِصَّة بسببِ تعدُّد طُرُقهَا نحو :الحافظ ابن رَجبْ و لكنَّ الَّذِي قَوَّى القِصَّة و اعتبرَ ثُبوتهَا تَأوَّلها تأوُّلَا صحيحاً لا يقدحُ في مقامِ النُّبوَّة، آه، كما يأتي بيانُ ذلك،

ومن أحسنِ ما توقَّفتُ عليهِ جمعًا من كلامِ أهلِ العِلم في هذهِ المسْألَة و من خلالهِ ردَّ على شبهاتِ الطَّاعِنينَ في مقامِ النَّبي أو تأوَّلَ الآية عن غيرِ وجهها الصَّحيح ،الآية في سورةِ الحج ،هو أنَّ العلاَّمة الشَّنْقيطي رحمهُ الله تعالى في كتابهِ رحلة ، أو" رحلةُ الحجِّ إلى بيتِ الله الحرام " ، نعم،

حيث قالَ رحمهُ الله تعالَى في إحدَى مُذاكرَاته مع بعضِ الطَّلبةِ لكتابه "رحلة الحج" في الصَّفحَة العِشْرين بعد المئَة قال : ثُمَّ سألنَا بعضُ أذكياءِ الطَّلبة بمحضر أَوْ بمحض من طائفةٍ من العُلمَاء ، ثُمَّ سألنا بعضُ أذكياء الطَّلبَة بمحض من طائفةٍ من العلماء في أم درمان أي في السُّودان ، المذكورة من قِصَّة الغَرَانيق في قوله تعالى :(وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ الله مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ الله آيَاتِهِ وَ الله عليمٌ حكيمٌ)،

و قالَ مِمَّن تكلَّم عن هذه الآية الكريمة فأجبناهُمْ: أنَّ كثيرًا من المفسِّرِين ذكرُوا أنَّ سببَ نُزُولِها أنَّ النَّبي قرأَ سورة النَّجْم

بمكَّة فلمَّا بلغَ : (أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَ العُزَّى وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الُأخْرَى)، ألقَى الشَّيْطَانُ على لسانهِ أي على لسانِ الرَّسُول " تلْكَ الغَرَانيقُ العُلاَ و إنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى " ،يعني يشيرُ إلى آلهتهِم، آه،

فلمَّا بلغَ آخرَ السُّورة سجدَ و سجدَ معهُ المشركون و المسلمون و قال المشركون ما ذكرَ آلهتَنَا بخيرٍ قبلَ اليوم و شاعَ في النَّاس أنَّ أهلَ مكَّة أسْلمُوا بسببِ سجودهِم معَ النَّبي حتَّى رجعَ المهاجرونَ من الحَبشَة ظنًّا منهُم أنَّ قومهُم أسلمُوا وَ وَجدوهمْ علَى كُفرهِمْ و لمْ يدخُل أحدٌ منهم مكَّة إلا مُسْتخْفيًا أو بجوارِ مَنْ يحمِيه مِنَ المشركين.

و الغرانيق: هي الذُّكور من طيرِ الماء، هذَا معنَى الغَرانيق؛ الذُّكورُ من طيرِ الماء ،الطَّيرُ الَّذِي يطيرُ فوقَ الماء ، الذُّكورُ منهُ تسمَّى بِالغرَانِيق، آه،

واحدها غُرْنُوقْ ،كعُصفُورْ، غُرْنُوقْ كعصفور، أو غِرْنُوقْ، أو غِرْنَوْقْ كفِرْدَوْسْ

فالمفردُ يُنطق على وجْهَيْن :

-الأوَّل غُرْنُوقْ أي على وزن عُصْفور،

-و الثَّانِي غِرْنَوْقْ على وزن فِرْدَوْسْ، نعم،

- و هناك وجهٌ ثالثْ ،نعم ،غِرْنَيْقْ على وزن مِعْلَيْقْ هكذا،

-و هناك وجهٌ رابع غِرْنِيقْ على وزن مِسْكِينْ.

فصار عندنا أربعةُ أوجهٍ في قراءةِ مفرد الغَرَانيقْ :

الأوَّل غُرْنُوقْ على وزن عُصْفُورْ و الثَّانِي غِرْنَوْقْ على وزن، على وزن فِرْدَوْسْ و الثَّالث، الثَّالث : غِرْنَيْقْ على وزن مِعْلَيْقْ ،و الرَّابع غِرْنِيقْ على وزن مِسْكِينْ، نعم،

وهي طيور بِيض طَويلة، طَويلةُ الأعْنَاق، هي طيورٌ بِيض يعني لَوْنُها أبْيض طويلةُ الأعْنَاق و القَوائِم،

و قيل الغُرْنُوق هو.....اسْمُهَا، و مع قول الشَّيْطَان " تلكَ الغَرَانِيقُ العُلاَ " ؛أنَّ الأصْنَام في علوِّ منزلَتِهَا و رِفعَة شَأنِها كالغَرَانِيق المُرْتفعة نحوَ السَّماء في طَيرَانها فالشَّيْطَان

ألقَى هذه الكلمة يريدُ بها مَدْحَ الآلهة التِّي كانت تُعبَد من دون الله ؛الأَصْنَام ،و قال :" تِلكَ الغَرَانيقُ العُلاَ " أي أنَّ هذهِ الأصْنَام كالإِبةْ؟ كالطُّيورِ التِّي تسبحُ في السَّماء و هي ،يعني، مُرْتَفعة إلى العُلُو فكأَنَّهُ يقولُ إنَّ هذهِ الأصْنَام في العلوِّ مرتفعة ، آه، و مَقَامُهَا عالً ،كالغَرَانِيق أي كذُكُور الطُّيُور هذه التِّي تطيرُ في الإِبةْ ؟، في العُلُو ،وقال......عن الآية وعن قِصَّة الغَرَانِيقٰ.

إعلم ،أوَّلاً : أنَّ التَّمنِّي في الآية فيهِ وَجهان أي في قوله تعالى :(وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ) ،

مَا معنى قولهِ تعالى تَمَنَّى ؟ قال فيهِ وجْهَان :

◄ أحدهُمَا ، أَحدهُمَا التَّمنِّي المعروفُ الَّذِي أداتُهُ "لَيْتَ" أَيْ: التَّمَنِّي المعروفُ في اللُّغة يَا ليتَ كذَا يَا ليتَ كذَا ، نعم، يَتَمَنَّى : يعنِي يَرْجُوا حدوثَ شَيء ،نعم، هذَا المَعْنَى.

◄ وَ الثَّاني أنَّ مَعنَاه : التِّلاوَة، فَقالُوا، أو العَربُ تقول : تَمَنَّى إِذَا تَلَى، و تَمَنَّى القراءةَ أُمنيةً ، نعم ،يكون الآية بمعنَى ، إلاَّ إِذَا تَمَنَّى أي إِلَّا إِذَا تَلَى ، آه، أَلْقَى الشَّيْطَانُ في تلاوتِهِ ، آه، نعم، قال أنَّه علَى هذَا أكثرُ المفسِّرين ، نعم، لأنَّ تَمَنَّى هنَا بمعنَى : تَلَى، أو قَرأَ ، نعم،

وَ فِي صحيحِ البُخَاري عن ابن عبَّاس رَضيَ الله عنهُمَا أنَّهُ قال : "إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمنيتِهِ ؛ إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ في حَدِيثِه ،" آه، فجعلَ تَمَنَّى هنا بمعنَى حدَّثَه و هي بمعنى تَلَى،

وَ علَى هذا فمعنى الآية الكريمة: (وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ) ،إلَى آخرِ الآية ، إِنَّهُ حال و أنَّه إذَا قرأَ شيئاً من الآيات ألقَى الشَّيطان فِي أُمْنيَته أي قِرَاءَته ، أي تِلاَوَته الشُّبَهَ وَ الوساوسَ والتَّخَيُّلات ، ليَصُدَّ النَّاس عنها،

أوْ ألقَى الشَّيطان في قراءتها ليس منه مِمَّا يَرضَى به الكفَّار ، ثُمَّ يُبطِل الله إلقاءَ الشَّيطان و يُثْبِتُ آياتهِ محكماتٍ بيِّنات ، آه، أوْ يُثَبِّتُ آياتهِ محكماتٍ بينات ، نعم،

ثُمَّ قالَ بعدَ ذلك : والعلماءُ مختلفونَ في أصلِ قصَّة الغرانيق ، هَلْ هي باطلة أو ثابتة ، نعم.

فعلَى القولِ ببُطلانها الأمرُ واضح يعني لَا إشكالَ فيه ، و كانت باطلةً لَا حاجةَ لنا في هذا الكلام.

وَ عَلَى القولِ بثُبوتها فمعنى إلقاءِ الشَّيطان علَى لسانِ النَّبيِّ أنَّه كانَ يقرأُ القرآنَ يُرتِّله ترتيلًا تتخلَّله سَكتَات ، و راقبَ الشَّيطانُ بعضَ سكتاتِ النَّبيِّ ثُمَّ حاكَى قِرَاءَته لقوله عليه لعنةُ الله: تلكَ الغرانيقُ العُلَا إنَّ شفاعتَهُنَّ لَتُرْتَجَى أي جعلَ هذَا القولَ من قولِ الشَّيطان ليس من قول النَّبيِّ ، وظنَّ المشركونَ أنَّ صوتَ الشَّيطان، صوتُ النَّبيِّ .

و هذا الجوابُ عن قصَّة الغرانيق على القولِ بثُبوتهَا هو أحسنُ الأجوبةِ عنها ، نعم، و القضاءُ جمعٌ من المُحَقِّقين من أجوبةِ الكثير و من الأَجوبةِ الأخرى كثيرة ، و لكن أَحسَنها و أقْرَبها إلى الصَّواب ، و ثَبتَت القصَّة و أنَّ هذا القول ليس من قولِ النَّبيِّ إنَّما هو بقولِ الشَّيطان ، قلَّدَ أَوْ حاكَى صوتَ النَّبيِّ ، فظنَّهُ المشركونَ من قولِ النَّبيِّ لأنَّ النَّبيِّ معصومٌ حال الإساءة و، و التَّأليف أن يَدْعُوَ النَّاس إلى الشِّرك ، و كيفَ يُعظِّم معبوداتِ المشركين من قوله :" تلكَ الغرانيقُ العُلاَ و إنَّ شفاعتَهُنَّ لتُرتَجَى ، نعم.

ثم قال الشَّنْقِيطِيُّ رحمهُ الله: و حجَّةُ القائلِ بأنَّ قصَّة الغرانيق باطلة: اضطرابُ رُوَّاتِهَا ، نعم، و انقطاعُ سَندِها و اختلافُ ألفاظِها.

بعضهم يقول إنَّ النَّبي كانَ في الصَّلاة ، و بعضُهمْ يقول قرأهُ و هوُ في نادي قَومِه . و آخرُ يقول أصابتْهُ سِنَة أي نَوْم، إلى آخرِ ما قالوا في هذَا، و هذا يدلُّ على اضطرابِ، على اضطرابِ القصَّة، أي لم يتَّفِقُوا على لفظٍ واحد، نعم.

نعم ،و الَّذِي جاءَ في الصَّحيح من حديثِ عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيِّ قرأَ النَّجْم فسجدَ فيها، و سجدَ من كان معه غيرَ أنَّ شيخاً من قريش أخذ كَفّاً من حَصَى أو تراب فرفعهُ إلى جبهتِهِ و سجدَ عليه ، أي استهزاء .

قال عبد الله: و لقد رأيتُهُ بعدُ قُتلَ كافراً، و هذا، و هذا الكافر هوَ أميَّة بنُ خلف ، كما جاء تعيينه في روايةٍ أخرى للبخاري في كتاب التَّفسير من الصَّحيح ، أنَّ هذا الَّذِي سجدَ على حفنةٍ من ترابٍ رفعهَا بكفِّه كانَ أُميَّة بنَ خلَف الَّذِي قُتِلَ كافراً، نعم، و هَذا الحديث أخرجهُ الشَّيخان في صحيحِهِمَا، نعم.

و صَحَّ من حديثِ ابن عبَّاس رضي الله عنهُمَا أنَّ رسولَ الله سجدَ في النَّجم، و سجَدَ معهُ مسلمون و مشركون و الجنُّ و الإِنْس ، هذا الَّذِي صَحَّ في صحيحِ البُخاري ، بل أخرجهُ البخاري، أي أنَّ المشركينَ سجدوا مع المسلمين لمَّا قرأَ النَّبِي سورة النَّجْم فوصلَ قُبَالَ آيةِ السَّجْدَة :(فَاسْجُدُوا لله وَ اعْبُدُوا) سجدَ كلُّ منْ كانَ في مكَّة و سمعَ النَّبيّ من الجنِّ و الإِنس و منَ المشركين.

قال الشّنْقِيطِي هذا الَّذِي جاءَ في الصّحيح لم يُذكَر فيه أنَّ النَّبيَّ ذكرَ الغرانيق و لا شفاعتَهم ، نعم، و أيُّ شيءٍ من تلكَ القصَّة و الَّتي ذكرهَا المسلمون أن ابن عبّاس في هذه القصَّة إنَّما هو من طريقِ الكَلْبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس رضي الله عنهُما، و الكَلْبِيُّ ضعيفٌ جِدّاً بلْ متْروك ، نعم،

معلومٌ أنَّ الكَلْبي متروك روايَتهُ ،لاتُقبَل روايتهُ و عليهِ فلا يُقبَل منهُ هذه القصَّة الخَطيرة الَّتي تَمَسُّ جنابَ النُّبُوّة ، نعم، و لذا قالَ ابن عربي النابري أنَّ قصَّة الغرانيق باطلةٌ لا أصلَ لهَا،

و قال القاضي عياض : إنَّ قصَّةَ الغرانيق لَمْ يُخرجْها أحدٌ من أهلِ الصِّحَّة ولَا رَواهَا ثقةٌ بسندٍ سليمٍ متَّصل مع بعضِ نقَلاتِها و اضطرابِ رواياتِها و انقطاعِ اسنادِهَا.

و ذكر أنَّ من رُوِيَتْ عنه من التَّابعين و المفسِّرين لم يُسنِدْها أحدٌ منهمْ ولا رفعهَا إلى صاحب؛ أي من الصَّحابة ، وأكثرُ الطُّرق، الطُّرق عنهم فيها ذلك ضعيفةٌ واهية، آه، و فيهَا قال ، و قد إعترضَ الحافظ بن حجر العَسْقَلَانِي رحِمهُ الله مع انتصارهِ لثبوتِ هذه القصَّة بأنَّ طُرقَها كلّها إمَّا مُنقَطِعة أو ضَعيفة إلَّا طريق سعيد بنُ جُبَيْر، نعم.

إذا علمتَ أنَّ طرقها كلّها لا يُعَوَّلُ عليها إلَّا طريقَ سعيدِ بن جُبيرْ فاعلمْ أنَّ طريقَ سعيد بن جُبير لم يَرِدْهَا بها أحدٌ متَّصلة إلَّا أُميَّة، أُميَّة بنَ خالِد، إلَّا أُميَّة بنَ خالد، وَ هو و إنْ كانَ ثقةً فقدْ شكَّ في وصلها.

و قدْ أخرجَ البَزَّار و ابن مَرْدَويه مِن طريقٍ ، من طريقِ أُميَّة بن خالد عن شعبة عن أبي بِشر عن سعيدٍ بن جُبَير و قال أُميَّة بن خالد في إسنادِه هذا عن سعيد بن جُبير عن ابنِ عبّاس : فيمَا أحسب، أي شَك.

ثُمَّ ساقَ حديث القِصَّة المَذْكورة، و قال البَّزار لا غيرها متَّصلاً إلَّا بهذَا الإسْناد، و قال تَفَرَّدَ بوَصْلهِ أُميَّة بن خالد و هو ثقةٌ مشهور ، نعم، قال ، أي البَزَّار و إنَّ ما يُرْوَى من طريق الكَلْبي عن أبي صالح عن بن عبّاس ، و الكلبيُّ مَتْروك، آه، لأنَّ البَزَّار رأى أنَّ الطَّريق المحفوظة هي طريقُ الكَلْبي و ليست الطَّريق الموصولة الَّتي جاءَ بها أُميَّة بن خالد ، آه، هذا الَّذِي يظهرُ من عبارةِ البَزَّار .

فتَحَصَّلَ ممَّا ذكره أنَّ قصَّة الغرانيق لَمْ تثبتْ مِن طريقٍ متَّصلةٍ يجوزُ ذِكرُهَا ، نعم، إلَّا هذا الطَّريق الذي شكَّ رَاويهِ و هو أُميَّة بن خالد في الوَصْل، و هذا لم يثبتْ إلاَّ من طريقٍ شكَّ صاحبُهُ في الوصل فضَعفُهُ ظاهر،

و لذا قال ، قالَ الحافظُ ابنُ كثير في تفسيره و في قصَّة الغَرانيق إنَّه لم يرويها مسندةً ، أَوْ أَوْ قال : إِنَّهُ لمْ يراها مسندةً بوجهٍ صحيح ، نعم، و يُضاف ، يُضَافُ ابن كثير إلى من ضَعَّفَ القصَّة،

و قال البَيهَقي إنّها غيرُ ثابتةٍ من جهةِ النَّقل ، نعم ، إلى آخرِ ما نقلهُ و قولُ الله تعالَى و فيمَا نقلناهُ كفايةٌ في بيانِ حالة القصَّة و في بيانِ أو تأويلِ من تأوَّلَ أو من أثْبتَ صِحَّتها.

و بالله التَّوفيق و صلَّى الله علَى محمَّد و علَى آلهِ و أصحابهِ وسلَّم.